الاســـلام

بعد ١٣٥٥ سنة

للدكتور عبد الوهاب عزام

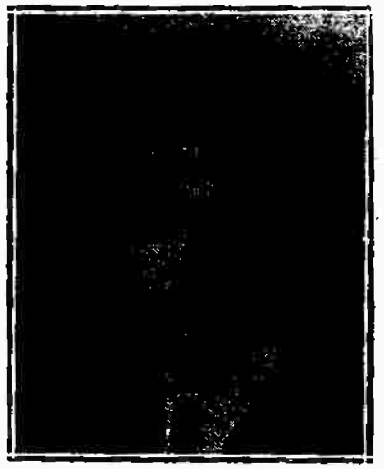

مضت خمسة وخمسون وثلاثمائة وألف عام منذ هاجر الرسول وأصحابه إلى المدينة. طوى التاريخ خمسا وخمسين وثلاثمائة والف مرحلة منـــذ خرج محمد وأصحابه يحملون دعوة التوحيد والأخوة، وكلمة الحق والعدل والحرية ـ ركم الزمان على عام الهجرة أربعة عشر قرنا ونصفا وما زال يخرق الحجب نوره، ويلوح من خلال الأجيال سناه.

مضت أربعة عشر قرنا فى جزر التاريخ ومده، وغير الدهر وخطوبه. قامت دول وزالت دول، وقويت أمم وضعفت أمم، وحيت مذاهب وماتت مذاهب، والأرض ترجف باعتراك الانسانية واختراب الأديان، وتدوى بالآراء تتصادم، والأفكار تتقاتل، ومن وراء هذا خلق يغلب خُلقا، وسنة تُميت سنة، وآية تنسخ آية، وأثر يبقى على أثر.

فأين الاسلام اليوم من مُبتدئه؟ وأين بلغ المسلمون بعد أربعة عشر قرنا؟

قال كاتب أوربى منذ سنتين إن دعوة الاسلام قد انتهت، وإن الإسلام قد وهن، ولم تبق فيه قوة تحرك الأمم وتسير الأجيال.

أحق أن الاسلام قد انتهت دعوته، ودرست آياته، ولم تبق إلا أسماء وأوهام ورسوم وأعلام؟ هل الاسلام اليوم لا تنبض به القلوب، ولا تشق به العزائم، ولا يقيم المثل العليا للعمل فى هذه الحياة، أصار الإسلام تاريخا دابراً، وانقلب مجداً ماضيا؟ هل طفئت النار، وأقوت الديار؟

ما هى دعوة الاسلام؟ دعوة ذات شعب تتناول العقائد والأعمال، وتهيمن على العقل والقلب، وتحيط بالجماعة من أقطارها، وتشمل الأمم جميعها، ولكنها فى أصولها ترجع إلى أمرين: التوحيد ـ توحيد الله وتوحيد النفس بتخليتها من الأوهام المتنازعة والخرافات المتهافتة وإقامتها على طريق بينة لا حيرة فيها ولا ضلال؛ ثم توحيد الأفراد فى الجماعة بالعدل الشامل والتسوية التامة، وإعطاء كل ذى حق حقه، لا عبد ولا حر، ولا سائد ولا مسود، ولا رفيع ولا وضيع؛ ثم توحيد الجماعات فلا شرقى ولا غربى، ولا عربى ولا عجمى. والأمر الثانى: العمل الصالح: أن يسير الفرد والجماعة والأمم إلى الخير، إلى العمل لاقامة الحق وهدم الباطل، ونشر العدل ومحو الجور ـ أن تمتلىء القلوب نارا تحفزها للعمل، ونورا يهد بها السبيل، وتسمو النفوس عن الصغائر والدنايا، وتطهر من الأحقاد والضغائن، وتحرر حتى تأبى على القيود، وتتسع على الحدود، وتنطلق فى الكمال إلى أبعد غاية

فهل انتهت هذه الدعوة الاسلامية؟ هل أظلم قلب المسلم؟ هل ذلت نفسه؟ هل ذهب الخشوع بآماله؟ هل ردّه الدهر إلى الصغار، وأنزله اليأس إلى القرار؟ هل يئس المسلم من السيادة ورضى أن يُسلم قياده؟

كلا كلا، إن فى الاسلام من المثل والأخلاق والفضائل والعزة والاباء والسمو والتاريخ الوضاء ما يملأ المسلمين حياة وآمالا وطموحاً واحتراما. لم تنته دعوة الاسلام ولكنها اليوم تقوى وتعظم، وقد تهيأ الزمان لها ومهدت الحادثات سُبلها. بدأ الاسلام دعوته منذ أربعة عشر قرناً ولكنها لم تبلغ غايتها وأجدر بها اليوم أن تبلغها

ما تزال النفوس الانسانية طماحة إلى السمو، نزاعة إلى الخير، مفعمة بحب الحق والعدل، تواقة إلى الأخوة والحرية. فلن تقف دعوة الاسلام. ما يزال المسلم الحق يرى نفسه خليفة الله فى الأرض، مكلفاً أن يقيم العدل بين الناس، موكلا بنصرة الخير ومحاربة الشر، أنى كان ومتى استطاع. كل الأرض داره، وكل الزمان وقته. فلن تقف دعوة الاسلام ما يزال المسلم ينطوى

على عزة تقهر الخطوب، وأمل يغلب الزمان ؛ ونفس لا تسف ، وقلب لا يذل ، وما تزال سيرة محمد فى عقله وقلبه، ولا يزال مجد الاسلام ملء جوانحه ، ولا تزال كلمة الحق والعدل ملء ضميره . فلن تقف دعوة الاسلام . إن دعوة الاسلام لا تقف حتى يموت الخلق العلى والقلب الأبى فى نفوس البشر .

وقل للذين يزعمون إنهم حماة الاسلام : إن الاسلام فى حماية أهله ورعاية تاريخه . ما أذل الاسلام إن ابتغى فى غير أولاده حماة ! وما أذل المسلمين إن رضوا بغير حماية الله ! ياحسرة على الحق إن التمس من الباطل حاميا ! وياخسران العدل إن ابتغى من الظلم ناصراً ! وويل لورثة محمد إن لم تحمهم سيرة محمد وخلفائه ، ومن أنجبتهم العصور من أئمته وأبطاله !

إن فى دين المسلم ، وإن فى قلب المسلم ، وإن فى خلق المسلم ، مايربا به عن كل دنية ، ويصمد به إلى كل هول ، ويثبته فى كل كارثة ، ويسمو به على كل عقبة .

أيها الحماة الأبرار ! لقد أدرتموها على المسلمين حرباً طاحنة فى المشرق والمغرب ، وغزوتموهم بالسلاح والفتنة والفرية ، وكدتم لهم فى السر والعلانية ، واستبحتم فيهم كل منكر ، حتى إذا ظننتم أنهم هانوا وذلوا ، ويئسوا وملوا قلتم : هلم أيها الضعفاء ، فنحن الحماة الأقوياء !

أيها الحماة : شد ماقسوتم على المسلمين ! ثم شد مارفقتم بهم ! أيها الحماة : لقد تعلمون أن بضعة آلاف من بنى الاسلام ثبتوا لكم وسخروا بقواكم وفنونكم وأساطيلكم وجيوشكم وطياراتكم أكثر من عشرين عاماً ولم يكن سلاحهم إلا عزة الاسلام ومجد العرب .

سلاحهم عزيمة الجهاد
وقوتهم ما سلبوا الأعادى
يصابرون الأكبد الصوادى
ويا كلون الجوع فى البوادى
قد يئسوا يأساً من الأمداد
إلا ثبات القلب فى الجلاد
ونصرة الرحمن للعباد

• • •

أبت لهم كرامة الاسلام
أى إباء العرب الكرام
أن يسلموا الأوطان دون الهام
منيتهم مشـــارع الحمام

فلما تكسر فى أيديهم كل سلاح ، وأعوزهم كل قوت ، وضاق على عزائمهم كل مجال ، خرجوا من ديارهم أنفة أن يروا الصغار فى الديار ، وإباء أن تجمعهم والمذلة أرض ؛ وهم اليوم مشردون فى الأقطار ، قد نالت الخطوب من أموالهم وجموعهم ونعيمهم ودعتهم ولم تنل من أنفسهم ، فكل منهم علم جهاد ، وصحيفة فخار ، وسجل مآثر ، وشهادة ناطقة بما تتجاهلون من العزة الاسلامية ، والأنفة العربية . ألا إن الاسلام لم تنته دعوته ، ولم تضعف كلمته ، وسيبقى كلمة الله فى الأرض ، ودعوته إلى الحق ، وحجة على الخلق ، فى أمره بالأخوة والحرية ، والعمل فى الحياة على أقوم السنن ، إلى أكرم الغايات .

ألا إن الاسلام دعوة إلى الحياة لا تموت ، ودعوة إلى الحرية لا تستعبد ، ودعوة إلى العزة لا تذل ، ودعوة إلى العمل لا تفتر

ألا إن الاسلام دعوة إلى السلام والاخاء ، وإلى الصدق والوفاء . فإن دارت به الأكاذيب ، واجتمعت عليه الأباطيل ، وسيم الهوان ، وقوبل بالعدوان ، فهو دعوة إلى العزة والاباء ، والصبر على اللاواء ، والموت فى سبيل الحق ، والخلود من وراء الموت .

عبد الوهاب عزام

من حديث الشرق والغرب

رسائل وأقاصيص

تأليف الدكتور

محمد عوض محمد

ثمن النسخة ١٢ قرشاً صاغاً

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب